

تاريخ المصاحف العثمانية ودراسة القراءات

* د. تاج أفسر *

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحابته أجمعين وبعد:

فهذه نبذة يسيرة عن تاريخ المصاحف ودراسة القراءات ولا شك في أهمية الموضوع لعلاقته بكلام الله عزوجل. لقد حاولت أن أقدم تاريخاً وجيزاً عن المصاحف المشهورة لدى الصحابة -رضي الله عنهم- وبالخصوص مصحف سيدنا أبي بكر الذي أصبح أساساً للمصاحف العثمانية بعده. كما حاولت أن أتكلم عن تسبيع القراءات وتشعيرها عند كل من ابن مجاهد وابن الجزرى ثم ذكرت مراحل تدوين القراءات بمر العصور وكفر الدهور. فإن كان صواباً ففضل الله تعالى وبعونه وإن كان غير ذلك فهو أحرى بذلك وأجدر لقلة بضاعة كاتبه. والله أعلم أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به و يجعله في ميزان حسنات كاتبه. وهو ولِي التوفيق وبالإجابة جدير.

تعريف علم القراءات

القراءات لغة: القراءات جمع، مفردها قراءة ومادة: (ق، ر، أ)، تدور حول معنى الجمع والضم، والاجتماع.^(١) فالقراءة مصدر من قول القائل: قرأت الشيء، إذا جمعته وضممت بعضه إلى بعض. كما يقال:

"ما قرأت هذه الناقة جنينا قط". يراد بذلك إنها لم تضم رحماً على ولد. ومعنى قرأت القرآن أي لفظت به مجموعاً: أي ألقيتها.^(٢)

القراءات اصطلاحاً: لقد عرف الإمام ابن الجوزي القراءات بقوله: "القراءات علم بكيفية أداء كلمات القرآن واحتلافها بعرو الناقلة"^(٣)

* كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد

١- انظر: ابن زكرياً أحمد بن فارس، أبو الحسين: معجم مقاييس اللغة: بتحقيق عبد السلام محمد هارون ط. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ٥ / ٧٩.

٢- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري: لسان العرب، الطبعة الأولى (١٤٠٨ هـ ١٩٨٨م) بتحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان ١١ / ٧٨.

وُعرف القسطلاني^(٤) علم القراءات بأنه: "علم يعرف منه اتفاق الناقلين لكتاب الله واحتلافهم في اللغة والإعراب والمحذف والإثبات، والتحريك والتسكين، والفصل، والاتصال، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال من حيث السماع".^(٥)
ويزاد على ذلك تعريف الشيخ عبدالعظيم الزرقاني:^(٦) حيث عرف علم القراءات بقوله "مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء مخالفًا به غيره في النطق بالقرآن الكريم مع اتفاق الروايات، والطرق عنه، سواءً أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف أم في نطق هيئتها".^(٧)

المقارنة بين التعريفات المذكورة

والحق أنه لا بد في التعريف أن يشتمل على العناصر الثلاثة وهي:

مواضع الاختلاف في القراءات.

النقل الصحيح سواءً أكان متواتراً أم آحاداً.

حقيقة الاختلاف بين القراءات.

وتعریف ابن الجزری يشتمل على هذه العناصر الثلاثة فيعتبر جامعاً ومانعاً.

وأما تعریف القسطلاني فقد يعتبر شرحاً وتفصيلاً لتعريف ابن الجزری.

غاية علم القراءات:

"معرفة ما يقرأ به كل من أئمة القراء" وقيل: "صيانة القرآن عن التحرير اللفظي".^(٨)

موضوع علم القراءات:

"كلمات القرآن من حيث يبحث فيه عن أحواها كالمد والقصر والنقل...".

٤ - هو أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني ، شهاب الدين ، مقرئ ، محدث ، المتوفى سنة ٩٢٣ هـ الزركلي: الأعلام: ١/٢٣٢ .

٥ - لطائف الإشارات لفنون القراءات ، تحقيق عامر سيد عثمان ، وزميله ، ط ، لجنة إحياء التراث الإسلامي: القاهرة، ١٣٩٢ هـ / ١٧٠ .

٦ - هو محمد بن عبدالعظيم الزرقاني المصري من علماء الأزهر المتوفى سنة (١٣٧٦ هـ). انظر: الزركلي: الأعلام: ٦/١٢٠ .

٧ - مناهل العرفان في علوم القرآن ، الطبعة الثالثة (١٤١٩ هـ). دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان. ١/٢٨٨ .

٨ - انظر: التهانوي ، إظهار أحمد: أمانية شرح الشاطبية: قراءات أكاديمي لاهور ، باكستان. ص ٣ .

و قيل: اختلاف كلمات الوجه.^(٩)

اختلاف الأحرف عند العرب وقت نزول القرآن

لقد ثبت تاريخياً تعدد اللهجات عند العرب إلى غاية أن القبيلة ما كانت تستطيع أن تنطق وفق ما تنتجه الأخرى. وقد أذادت هذه الصعوبة بسبب العداوة والنفرة بين قبائل العرب. فإليك بعض الكلمات التي تبين ذلك: مثلاً شد، ضن، فر، استعد، اطمأن كلها مشد آخرها عند استعمالها بصيغ الأمر وهذا عندبني تميم. بينما يستعمل أهل الحجاز مخففاً بفك الإدغام، فيقولون : اشدد، اضن، افرر، استعد، اطمأن.^(١٠) وكشكشة ربيعة و مضر الذين يزيدون بعد كاف الخطاب في المؤنث شيئاً رأيتكم مكان رأيتك وكسكتهم أي ينتظرون في المذكر سينا بعد الكاف كمثل الكلمات المذكورة. وعجعجة قضاة الذين يبدلون الياء المشددة جيما فيقولون في تميمي، تميميج. واستثناء سعد وهذيل الذين يبدلون العين الساكنة نونا فيقولون في اعطي، انتطي. فهذه مشهورة جداً ذكرها أهل اللغة في كتبهم.^(١١) وأهل حمير يبدلون لام التعريف مما ورد في الحديث الشريف أنّ وفدهم حاولوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائلوا: أمن امير امصاريم في امسفر ويريدون أمن البر الصيام في السفر فأجاب عليه السلام ليس من امير امصاريم في امسفر. وقد حكى أبو حاتم السجستاني^(١٢) في كتابه "الكتير في القراءات" أنه رأى رجلاً يقرأ "الذين آمنوا وعملوا الصالحات طيبي لهم" فقال له: طوي ف قال: طيبي فكان يردد طوي وهو يردد بطبيبي حتى غضب وقال: طوطو طو ف قال الأعرابي: طي طي طي.^(١٣)

٩ - اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر، الطبعة الأولى (١٤١٩ هـ) دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ص: ٦.

١٠ - ابن جني عثمان (٥٣٩٢ هـ) الخصائص، طبع بيروت. تحقيق: محمد على النجار بدون سن الطبع ١٢٥٩_٢٦٠.

١١ - ابن جني عثمان (٥٣٩٢ هـ) الخصائص، طبع بيروت. تحقيق: محمد على النجار بدون سن الطبع ١١٢_١٢.

١٢ - هو سهل بن محمد بن عثمان إمام أهل البصرة في القراءات واللغة والعرض توفي ٥٢٥ هـ. الجزري غاية النهاية في طبقات القراءة ١/٣٢٠.

١٣ - ابن جني الخصائص: ١/٧٤_٧٥. والأية من سورة الرعد ٢٩.

نزول القرآن على سبعة أحرف

لما بدأ نزول القرآن سأله النبي صلى الله عليه وسلم التخفيف من الله عزو جل بأن تؤذن أمته بأدائه وفق لهجاهم التي كانوا عليها، فلذلك الأحاديث التي تؤيد ذلك:

١ - أخرج البخاري ومسلم واللفظ للبخاري عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: أقرأني جبريل عليه السلام على حرف فراجعته فلم أزل استزیده^(١٤) فيزيديني حتى انتهى إلى سبعة أحرف.^(١٥)

وزاد مسلم: قال ابن شهاب: بلغني أن تلك السبعة الأحرف إنما هي في الأمر الذي يكون واحدا لا يختلف في حلال ولا حرام.^(١٦)

٢ - وأخرج البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يقول سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها وكان رسول الله - عليه الصلاة والسلام - أقرأيتها فكدت أن أعجل إليه ثم أمهلته حتى انصرف ثم لببته^(١٧) بردائه فجئت به رسول الله - عليه الصلاة والسلام - فقلت: إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان غير ما أقرأيتها فقال رسول الله ارسله يقرأ فقرأ القراءة التي سمعته يقرأ فقال رسول الله - عليه السلام - : هكذا أنزلت ثم قال لي: أقرأ فقرأت فقال هكذا انزلت، إن القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه.^(١٨)

٣ - وأخرج مسلم عن أبي بن كعب - رضي الله عنه - قال: كنت في المسجد فدخل رجل يصلي فقرأ قراءة أنكرها عليه ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه فلما قضينا الصلوة دخلنا جميعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: إن هذا قرأ قراءة أنكرها عليه ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه، فأمر هما

١٤ - معناه لم أزل اطلب منه أن يطلب من الله الزيادة في الأحرف للتتوسيع والتخفيف وسائل جبريل رب سبحانه وتعالى فيزيده حتى انتهي إلى سبعة شرح مسلم للنووي، ص: ٣٧٣ / ١ ط: إسلام آباد.

١٥ - صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف مكتبة القاهرة مصر، مع شرحه فتح الباري لابن حجر: ٢٧١٩ - ٢٧٢٠ .

١٦ - صحيح مسلم باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف: ٢٧٣ / ١ .

١٧ - لبيته، بتشديد الباء الأولى معناه أخذت مجتمع ردائه في عنقه وجترته به، شرح مسلم للنووي: ٢٧٣ / ١ .

١٨ - صحيح مسلم باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف: ٢٧٢ / ١ - ٢٧٣ .

رسول الله فقر آفحسن النبي - عليه الصلاة والسلام - شأهـما فـسـقـطـا في نـفـسيـ من التـكـذـيـبـ ولا إـذـ كـنـتـ فيـ الجـاهـلـيـةـ فـلـمـ رـأـيـ رسـوـلـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ - ما قد غـشـيـنـ ضـرـبـ فيـ صـدـرـيـ فـقـضـتـ عـرـقاـ وـكـانـاـ أـنـظـرـ إـلـىـ اللهـ عـزـوـجـلـ فـرـقـاـ فـقـالـ لـيـ يـاـ أـيـ: أـرـسـلـ إـلـىـ أـنـقـرـأـ الـقـرـآنـ عـلـىـ حـرـفـ فـرـدـدـتـ إـلـيـهـ أـنـ يـهـوـنـ عـلـىـ أـمـيـ فـرـدـ إـلـيـ الثـانـيـةـ أـنـ أـقـرـأـهـ عـلـىـ حـرـفـيـنـ فـرـدـدـتـ إـلـيـهـ أـنـ يـهـوـنـ عـلـىـ اـمـيـ فـرـدـ إـلـيـ الثـالـثـةـ أـنـ أـقـرـأـهـ عـلـىـ سـبـعـةـ اـحـرـفـ فـلـكـ بـكـلـ رـدـدـتـهاـ مـسـأـلـةـ تـسـالـيـهـاـ فـقـلـتـ اللـهـمـ اـغـفـرـ لـأـمـيـ وـأـخـرـتـ الثـالـثـةـ لـيـومـ يـرـغـبـ إـلـيـ الـخـلـقـ كـلـهـ حـتـىـ إـبـرـاهـيمـ عـلـيـهـ السـلـامـ.)^(١٩)

وـمعـنـ قولـ أـبـيـ بنـ كـعـبـ سـرـضـيـ اللهـ عنـهـ - (فسـقطـ فيـ نـفـسيـ منـ التـكـذـيـبـ ولاـ إذـ كـنـتـ فيـ الجـاهـلـيـةـ) إنـ الشـيـطـانـ وـسـوـسـ لـيـ تـكـذـيـبـاـ لـلـنـبـوـةـ أـشـدـ عـلـيـهـ ماـ كـنـتـ فيـ الجـاهـلـيـةـ لأنـهـ كـانـ فيـ الجـاهـلـيـةـ غـافـلـاـ أوـ مـتـشـكـكـاـ فـوـسـوـسـ لـهـ الشـيـطـانـ الـجـزـمـ بالـتـكـذـيـبـ. قالـ القـاضـيـ عـيـاضـ رـحـمـهـ اللهـ تـعـالـىـ:)^(٢٠) : معـنـ قولـهـ سـقطـ فيـ نـفـسيـ أـنـهـ اـعـتـرـتـهـ حـيـرـةـ وـدـهـشـةـ، قـالـ: وـقـولـهـ: وـلـاـ إذـ كـنـتـ فيـ الجـاهـلـيـةـ معـنـاهـ أـنـ الشـيـطـانـ نـرـغـ فيـ نـفـسـهـ تـكـذـيـبـاـ لـمـ يـعـتـقـدـهـ. ثـمـ قـالـ: وـهـذـهـ الـخـواـطـرـ إـذـاـ لـمـ يـسـتـمـرـ عـلـيـهـ لـاـ يـؤـاخـذـ هـاـ.)^(٢١)

وقـالـ عـلـىـ بـنـ سـلطـانـ الـفـارـيـ الـهـرـوـيـ:)^(٢٢) : نقـلاـ عـنـ الـقـامـوسـ: سـقطـ وـقـعـ بالـضـلـ وـنـدـمـ وـتـخـيرـ فـعـلـيـ روـاـيـةـ الضـمـ، أـيـ الـبـنـاءـ لـلـمـجـهـولـ سـقطـ معـنـاهـ نـدـمـتـ منـ تـكـذـيـبـيـ وـانـكـارـيـ قـرـاءـتـهـمـاـ مـاـ مـدـمـتـهـ مـثـلـهـاـ لـاـ فيـ إـلـسـلـامـ وـلـاـ إذـ كـنـتـ فيـ الجـاهـلـيـةـ. وـعـلـىـ روـاـيـةـ الـفـتحـ، أـيـ الـبـنـاءـ لـلـفـاعـلـ مـعـنـاهـ أـوـقـعـ النـدـمـ فيـ نـفـسـيـ منـ

.١٩ - صحيح مسلم باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف: ١/٢٧٢ - ٢٧٣ .

.٢٠ - أبو الفضل، عياض بن موسى بن عياض اليحيصي صاحب كتاب مشارق الأنوار والشفاء في بيان حقوق المصطفى. المتوفى ٤٥٥هـ ابن العماد الحلبلي شذرات الذهب. ٤/١٣٨ .

.٢١ - شرح النووي على صحيح مسلم طبع إسلام اباد ٢٧٣/١ باب أنزل القرآن على سبعة أحرف.

.٢٢ - هو علي بن سلطان محمد القاري الهروي. فقيه محدث من هرات، أفغانستان وله مصنفات في الحديث والقراءات وأشهرها المسماى بالمرقة شرح المشكاة توفى ١٠٤٠هـ بمكة المكرمة. خير الدين الزركلي، الأعلام ١٠٦/٥ ط بيروت.

أجل تكذيب قراءئهما ندما لم أندم مثله في حال الإسلام ولا حين كنت في أمور الجاهلية. قال ثم رأيت ابن حجر وافقني وقال أي من أجل تكذبي.

٤ - أخرج مسلم عن أبي بن كعب - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان عند أضاهة بني غفار ^(٢٤) قال فأتاه جبريل فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف فقال أسائل الله معافاته ومغفرته وأن أمري لا تطبق ذلك ثم أتاه الثانية فقال إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين فقال أسائل الله معافاته ومغفرته وأن أمري لا تطبق ذلك ثم جاءه الثالثة فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف ذلك ثم جاءه الرابعة فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف فأياماً قرؤوا عليه فقد أصابوا ^(٢٥) فإن قيل : إن هذه الرواية تخالف الأولى بأنه كان في المرة الثالثة قلنا : إن المراد بالثالثة في الأولى هي الأخيرة وهي الرابعة فسمها ثلاثة مجازاً أو حملنا على هذا التأويل تصريحة في هذه الرواية أن الأحرف السبعة إنما كانت في المرة الرابعة وهي الأخيرة. ويمكن قد حذف في الرواية أيضاً بعض المرات اختصاراً ^(٢٦).

٥ - أخرج الترمذى وصححه عن أبي كعب - رضي الله عنه - أيضاً قال : لقي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جبريل عليه السلام فقال : يا جبريل إني بعثت إلى أمة أميين فيهم الشیخ الفانی والعنوز والکبیر والغلام . قال فمرهم فليقرؤوا القرآن على سبعة أحرف ^(٢٧) فهذه الأحادیث تدل على أن القرآن أنزل على سبعة أحرف وهي سبع هججات على قول الجمهور .

٢٣ - مرقة المفاتيح شرح مشكوة المصايح ، ط : ملتان باكستان ١٨ / ٥ .

٢٤ - بفتح الممزة وبضاد معجمة مقصورة وهي الماء المستنقع كالغدير ، جمعها أضاً كحصاة حصا . شرح النووي على صحيح مسلم ٢٧٣ / ١ .

٢٥ - صحيح مسلم ٢٧٣ / ١ .

٢٦ - شرح النووي على صحيح مسلم ٢٧٣ / ١ .

٢٧ - سنن الترمذى أبواب فضائل القرآن باب ما جاء أن القرآن أنزل على سبعة أحرف ط . وزارة التعليم الفيدرالية إسلام آباد .

معنى نزول القرآن على لغة قريش والجمع بين الروايات

وقد أخرج البخاري عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن عثمان أمير المؤمنين

قال: للرهط القرشيين عند نسخ المصاحف: إذا اختلفتم أنتم وزيد في عربية القرآن فاكتبواها بلسان قريش فإنه أنزل بلسانهم ففعلوا^(٢٨). فهذا القول يثبت خلاف ما أثبتته الأحاديث السابقة فوجه الجمع بينهما أن قريشاً انتظمت كثيراً من مختارات السنة القبائل العربية التي كانت تختلف إلى مكة في موسم الحج وأسواق العرب المشهورة فكان القرشيون يستملحون ما شاؤوا ويصطافون ما راق من ألفاظ الوفود العربية القادمة إليهم من كل صوب وحدب. ثم يصقلونه ويهذبونه ويدخلونه في دائرة لغتهم المرنة التي دان جميع العرب لها بالزعامة وعقدوا لها راية الإمامة.^(٢٩)

ومن هذا صح أن يقال إنه نزل بلغة قريش لأن لغات العرب تمثلت في لسان القرشيين بهذا المعنى. قال الفراء^(٣٠) كانت العرب تحضر الموسم في كل عام وتحج البيت في الجاهلية وقريش يسمعون لغات العرب، فما استحسنوه من لغاتهم تكلموا به، فصاروا أفعى العرب، وخلت لغتهم من مستبعش اللغات ومستتبع الألفاظ.^(٣١) وقدقرأ النبي - صلى الله عليه وسلم - بهذه الأحرف وأذن للصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - أن يقرؤوا بها.

اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته بقراءة القرآن الكريم وبهذه الأحرف أما قراءته - عليه السلام - فقد أخرج البخاري رحمه الله في صحيحه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يعرض على جبريل عليه السلام في رمضان كل عام مرة وفي العام الذي قبض فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم - عارضه مرتين.^(٣٢) والمعارضة هي

- ٢٨ - محمد بن إسماعيل البخاري: ٢٥٦ هـ الجامع الصحيح كتاب فضائل القرآن مع شرحه فتح الباري: ٧/٨ ط القاهرة.

- ٢٩ - محمد عبدالعظيم الزرقاني (١٣٧٦ هـ)، منهاج العرفان في علوم القرآن، ط القاهرة: ١٣٩١/١٤٠، ١٤٠.

- ٣٠ - هو أبو زكريا، يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الملقب بالفراء من أئمة اللغة حدث عن ابن عبيدة نزيل بغداد، صاحب كتاب معاني القرآن وعلومه المتوفى (٢٠٧ هـ) الخطيب البغدادي تاريخ بغداد، ط: بيروت ١٥٤/١٤.

- ٣١ - ابن حني، عثمان (متوفى ٣٩٢ هـ)، الخصائص ١٢/١١٢.

- ٣٢ - محمد بن إسماعيل البخاري الجامع الصحيح باب علامات النبوة، ٧٤٦/٢.

المفاعة تقتضي الاشتراك من الجانبيين. فالمعارضة مرتين تحتوي على أربع ختمات للقرآن الكريم.

وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يحفظون القرآن بسماعه منه و يتلونه آناء الليل وأطراف النهار، وهي خصوصية هذه الأمة كما قيل في فضلها "صدورهم أناجيلهم"^(٣٢) فقد قتل منهم يوم بئر معونة سبعون كما قتل يوم اليمامة ضد مسلمة الكذاب سبعون منهم وهؤلاء الذين اشتهروا باسم "القراء". أما من مات منهم موتا طبيعياً أو استشهد في مواضع أخرى أو كان يحفظ بعض المصحف فكثير. فمن الصحابة من حفظ سورة من النبي - صلى الله عليه وسلم - تلقينا ومنهم من حفظه من رفيقه ثم عرضه على رسول الله صلى الله عليه وسلم و منهم من حفظ من رفيقه ولم يعرض أو عرض بعض ذلك^(٣٤) فقد ذكر الإمام السيوطي في الإنقاذ عن أبي عبيد القاسم بن سلام^(٣٥) أسماء بعضهم. منهم الخلفاء الأربع، و طلحة، و سعد و ابن مسعود، و سالم وأبو هريرة و عبد الله بن السائب و عبدالله بن عباس و عبد الله بن عمرو بن العاص و عبد الله بن زبیر رضي الله عنهم. وقد كانوا كثیر الاهتمام بقراءة القرآن الكريم في آناء مختلفه و حکایاتهم بقراءة القرآن الكريم و بتعلیمه لا يتسع المقام لذكرها.

منها ما أخرجه الشیخان عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لأعرف أصوات رفقة الأشعرین بالليل حين يدخلون وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار^(٣٦). وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر على بیوت الأنصار و يستمع

-٣٣- لقد خرج الإمام ابن كثير في تفسيره تحت قوله تعالى: "ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح" (الأعراف: ١٥٤) عن قنادة حديثاً طويلاً وفيه أن الله تعالى مدح هذه الأمة بقوله: صدورهم أناجيلهم. انظر عماد الدين إسماعيل بن كثير الدمشقي، المتوفى ٧٧٤هـ ، تفسير القرآن العظيم طبع كراتشي، ٢٥٤/٢-٢٥٥.

-٣٤- انظر: نذر محمد مقری (١٣٦٧هـ) - تسهیل البیان في رسم خط القرآن تقديم و تصحیح أبوالحسن أعظمی طبع دیوبند الهند ١٤٠٥هـ، ص ٤١-٤٢.

-٣٥- القاسم بن سلام المروي الخزاعي أبو عبيد من كبار أئمة الحديث واللغة والفقه صاحب كتاب الأموال المتوفى ٢٢٤هـ - انظر بن حجر المتوفى ٨٥٢هـ تهذیب التهذیب طبع مجلس دائرة المعارف حیدر آباد الهند ١٣٢٦هـ ٣١٥/٧.

-٣٦- صحيح البخاري. باب غزوة خيبر ١٢٨/١٣، رقم ٣٩٠٦.

إلى ندى أصواتهم بالقراءة في بيوقهم كما أخرج الإمام البخاري عن أبي موسى الأشعري أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لو رأيتني البارحة وأنا استمع لقراءتك، لقد أعطيت مزماراً من مزامير آل داود^(٣٧).

إذن النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة بقراءة الأحرف السبعة

وأما إذنه عليه السلام لصحابته فقد ثبت أيضاً أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقرأ سورة الفرقان على غير ما قرأها هشام بن حكيم بن حزام فرفعوا القضية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبراه بذلك فحسن النبي صلى الله عليه وسلم شأن كل واحد منهم وكما أن أبي بن كعب رضي الله عنه خالف صاحبه في قراءة سورة إذ جاء رجل ثالث فقرأ بقراءةٍ تختلفٍ قراءةِ هؤلاء فرفعوا القضية إلى حضرته عليه السلام فحسن شأن هؤلاء وأمرهم أن يقرؤوا كما تعلموا وقد مر بنا الحديث. قال السيوطي عن أبي شامة: أنزل القرآن أولاً بلسان قريش ومن حاورهم من العرب الفصحاء ثم أتيح للعرب أن يقرؤوه بلغةِ قومٍ التي جرت عادتهم باستعمالها^(٣٨). وذلك لأجل صعوبته عليهم في الأداء وعدم تعود القبائل بنطق اللغة الواحدة ولشدة عداوتها بعضهم ببعضاً.

الكلمات التفسيرية المقروةة أثناء تلاوة القرآن الكريم

ومن الجدير بالذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم كمفسر و مبين للقرآن الكريم كان يوضحه في قراءته على وجه التفسير أو على وجه الإستنباط وكذلك صاحبته رضي الله عنهم. فأطلق عليها قراءات كما على اللهجات واللغات تحيزاً.^(٣٩) ومثال ذلك ما روت عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ (حافظوا على

٣٧ - رواه البخاري وفي صحيح مسلم بزيادة فقلت لو علمت والله يا رسول الله أنك تسمع لقراءتي لخبرته لك تحيراً.

٣٨ - السيوطي، حلال الدين (١٩٩١هـ) الإتقان في علوم القرآن، المكتبة الأنثربية، لاهور، ٤٧/١.

٣٩ - جواد علي، لهجات العرب قبل الإسلام محاضرة منشورة في كتاب الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة، مكتبة النهضة المصرية، ص: ٣١٣.

الصلوات والصلوة الوسطى) صلاة العصر^(٤٠) فكلمة العصر تفسير وبيان للصلوة الوسطى.^(٤١)

و كقراءة ابن مسعود (و السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما)^(٤٢) بدل أيديهما. و فضيام ثلاثة أيام متتابعات بزيادة لفظة متتابعات^(٤٣) قال أبو حيان الأندلسى بعد أن ذكر قراءة عبد الله ابن مسعود رضي الله تعالى عنه "فوسوس لهما الشيطان مكان فأزلهما"^(٤٤) ما يلي: و هذه القراءة مخالفة لسود المصحف المجمع عليه فينبغي أن يجعل ذلك على سبيل التفسير و كذا كل ما ورد عن ابن مسعود و غيره مما خالف المصحف.^(٤٥) فمن الصحابة من كتب ما سمع من النبي صلى الله عليه و سلم بالفاظ القرآن الكريم و بتفسيراته من ناحية و لكنه سافر إلى البلدان النائية من ناحية أخرى فتسبب هذا لنقصان كثير من الآيات القرآنية في مصحفه. فالموجود في مصحفه كان زائداً من ناحية لكونه تفسيراً أو ما نسخ بعدها و كان ناقصاً من مصحفه من ناحية أخرى لأنَّه سافر والقرآن كان يتزل.

نماذج من مصاحف الصحابة

هناك مصاحف عدَّ من الصحابة التي ثبتت فيها الكلماتُ التفسيرية. منها:

- ١- المصحف المنسوب إلى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه و كان فيه من سورة الفاتحة (صراط الذين أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَغَيْرِ الضَّالِّينَ) (بزيادة غير).
- ٢- مصحف عائشة رضي الله عنها و منه قوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يَصْلُونَ عَلَى النَّبِيِّ وَالَّذِينَ يَصْلُونَ فِي الصَّفَوْفِ الْأُولَى) باضافة الجملة الأخيرة .

٤٠ - البقرة، آية: ٢٨٨.

٤١ - الشوكاني محمد بن علي بن محمد (١٢٥٠ هـ) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراءة من علم التفسير، دار أحياء التراث العربي بيروت الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ / ٢٨٤.

٤٢ - المائدة، آية: ٣٨، وانظر: القرطبي (٦٧١ هـ) الجامع لأحكام القرآن، مكتبة الغزالى ، بيروت ٥/٧٨.

٤٣ - الطبرى، ابن حجر (٣١٠ هـ) جامع البيان عن تأويل أى القرآن دار المعرفة بيروت، ٤/١٤٨.

٤٤ - البقرة، آية: ٣٦.

٤٥ - أبو حيان الأندلسى (٤٧٤ هـ) البحر المحيط، دار الفكر، بيروت ١/١٦١.

- ٣ - مصحف علي بن أبي طالب رضي الله عنه و كتب فيه (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه و آمن المؤمنون) بتكرار "آمن".
- ٤ - مصحف حفصه أم المؤمنين رضي الله عنها .
- ٥ - مصحف عبد الله بن زبير رضي الله عنه .
- ٦ - مصحف أبي بن كعب رضي الله عنه وأهل الشام و كانوا يقرؤون بذلك.
- ٧ - مصحف عبد الله بن عباس رضي الله عنه .
- ٨ - مصحف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .
- ٩ - مصحف أبي موسى الأشعري رضي الله عنه. (٤٦)

فهذه المصاحف لم تكن موثقة للزيادات التفسيرية واستنباطات النبي صلى الله عليه وسلم و أصحابه من ناحية و عدم تكميل الآيات القرآنية منها من ناحية أخرى . فاللائق في حفظ الصدور وخاصة في حفظ من حضر العرضاة الأخيرة مع النبي صلى الله عليه وسلم لا فيما كتبها الصحابة رضي الله عنهم في مصاحفهم الفردية، وهذا هو سبب اختلاف بعضهم بعضاً في القراءات فلاحظها الخليفة الثالث وأدرك الأمة فأحاطتها القراءات - في المصاحف العثمانية فقط . ولذلك قال الإمام ابن الجزرى: إن الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب و الصدور لاعلى خط المصاحف والكتب أشرف خصيصة من الله لهذه الأمة . (٤٧)

القراءات في مصحف أبي بكر رضي الله عنه

لما انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى و استخلف أبو بكر رضي الله عنه بعده و حدث في عهده ما نبهه إلى وجوب جمع القرآن الكريم في مصحف واحد ، خشية عليه من التفرق والضياع . فقد نشب الحرب بينه وبين أهل الردة من مانعي الزكاة و من أتباع مسليمة الكذاب المتنبئ و قُتل فيها عدد من قراء الصحابة . فلما وصل هذا الخبر المدينة هال ذلك عمر بن الخطاب فبادر إلى أبي بكر فأأخذه الخبر ، وبين له ما حدث و ما يخشى عليه من ضياع القرآن الكريم ، فتردد أبو بكر أولاً لأنه أمر محدث لم تكن له سابقة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم . ولكنه بعد نقاش طويل

٤٦ - السجستاني عبدالله بن سليمان الأشعث أبو بكر المتوفى ٣١٤هـ - كتاب المصاحف تحقيق : محب الدين عبد السبحان ، طبع الشعون الإسلامية قطر ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٥م / ٣٧٣ / ٣٨٠ -
٤٧ - ابن الجزرى (٨٣٣هـ) النشر في القراءات العشر ، دار الكتاب العربي : ١ / ٦

اقتبع بصواب رأي عمر بن الخطاب و ظهرت له المصلحة فيما يعرض عليه، فأرسل إلى زيد بن ثابت يدعوه لكتابة القرآن الكريم و جمعه في مصحف واحد .

و قد تم اختياره للأسباب التالية:

أ . كان زيد بن ثابت من أشهر الصحابة إتقانا لحفظ القرآن الكريم .

ب. ضابطا لإعرابه ولغاته .

ج. مداوما لكتابه الوحي للرسول صلى الله عليه وسلم .

د. شاهدا للعرضة الأخيرة .

و مع كل هذا كان عاقلا ، ورعا ، كامل العدالة و مامونا على القرآن .

آخرِ الإمام البخاري عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قال: أرسل إليّ أبو بكر . مقتلَ أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده . قال أبو بكر: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحرر يوم اليمامة بقراء القرآن و إني أنخسى أن يستمر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن وإن أرى أن تأمر بجمع القرآن ، قلت لعمر: كيف نفعل ما لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال عمر: هذا والله خير . فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدرِي لذلك و رأيت في ذلك الذي رأى عمر . قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا تتهمنك وقد كنت تكتب الوحي لرسول صلى الله عليه وسلم فتبتع القرآن فاجتمعه فهو الله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن . قلت كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: هو والله خير . فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدرِي للذى شرح له صدر أبي بكر (٤٨) . و عمر

و كما أخرج ابن أبي داود من طريق يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال: قدم عمر فقال من كان تلقى من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً من القرآن فليأت به . وكانوا يكتبون ذلك في الصحف والألواح والعُسُب و كان لا يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد شهيدان على أن ذلك مكتوب كتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه

رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعتمد زيد على الحفظ وحده. (٥١) وسلم.... قال السحاوي (٤٩): المراد أئمها يشهدان على أن ذلك مكتوب بين يدي

ظل هذا المصحف في رعاية الخليفة الأول أبي بكر مدة خلافته، ثم انتقل بعده إلى رعاية الخليفة الثاني عمر بن الخطاب مدة خلافته، ثم عند حفصة أم المؤمنين بنت عمر بعد وفاة أبيها وبقى عندها إلى أن ولّي مروان بن الحكم المدينة فطلبها منها فأبانت. فلما توفيت حضر جنازتها وطلبه من أخيها عبد الله بن عمر فبعث به إليها فأمر بإحراره وقال إنما فعلت هذا لأنّي خشيت أن طال بالناس زمان أن يرتاب في هذا المصحف مرتباً.
(٥٢)

وهذا كان بعد جمع عثمان المصاحف و إرساله إليها إلى الآفاق و إحراق الأخرى.

والذى ثبت من هذه الروايات أن أمير المؤمنين أبو بكر :

- ١- جرده من الأقوال التفسيرية .

٢- سبب هذا الجمع هو الخوف على ضياع القرآن الكريم .

٣- احتفظ بهذا المصحف و لم يفرض على الناس إشاعته والتزام الناس بقراءته .

٤- أُعلن بأن يأتي به كل من عنده شيءٌ من القرآن مكتوباً .

٥- أوجب أن يكون مع حامله شاهدان عادلان، يشهدان بأن هذه الآية قد كتبت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٦- أشرف عليه زيد بن ثابت - رضي الله عنه - و ينظر في الذي جاء به أحد من الصحابة ويقارن بينه وبين ما يحفظه في صدره و قرئ في العروضة الأخيرة .

٧- وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يساعد في هذه الدقة التامة .

٤٩ - كتاب المصايف / ١٦٨-١٦٩

٥٠ - السخاوي على بن محمد علم الدين المتوفى ٦٤٣هـ ، إمام في القراءات والحديث وأصوله من أجل تلاميذه الإمام الشاطبي الزركي الأعلام ١٥٣٥/٥.

٥١- جمال القراء و كمال الإقراء تحقيق د. علي حسين البواب ، ط. مكة المكرمة ١٤٠٨ هـ.
٨٦/١

^{٥٢} - المرشد الوجيز تحقيق طيار قولاج ط. بيروت ١٤٠٨ هـ. ص ٥٢.

-٨ التزم بما قرئ في العرضة الأخيرة من عدة قراءات كما سبق الكلام عن العرضة الأخيرة.

التزم بالرسم القرآني الخاص الذي أرشد إليه النبي صلى الله عليه وسلم في حين وآخر وكان عليه السلام مهتماً به. فقد أخرج في كتاب العمال أنه -صلى الله عليه وسلم- قال لسيدهنا معاوية رضي الله عنه: ألق الدواة وحرف القلم وانصب الباء وفرق السين ولا تعود الميم وحسن الله و مد الرحمن و جود الرحيم وضع قلمك على أذنك اليسرى فإنه أذكر لك ^(٥٢) وكما يقول زيد — وهو يتكلم عن كتابة الوحي — فإذا فرغت قال سالنبي صلى الله عليه وسلم — اقرأ فأقرأ فإذا كان فيه سقط أقامه ^(٥٤).

القراءات التي تتوقف على أكثر من رسم ، كحذف في القراءة و إثبات في الأخرى و الواو في قراءة والفاء في الأخرى فلم يتعرض لها زيد بن ثابت رضي الله عنه لعدم الخوف عليها، والصحابة رضي الله عنهم كانوا يقرؤون و يُقرئون بها في أقصى البلاد المفتوحة ليعلموا الناس القرآن الكريم والدين فعلم كل واحد منهم أهل مصره على ما كان يقرأ على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فاختلفت قراءة أهل الأمصار على نحو ما اختللت قراءة الصحابة الذين علموهم .

ومن ثم اختلف النقل في التابعين وفي تلاميذهم ، فكثرت القراءات ولم يكن في البلدان النائية من مصحف كامل يحتوي على جميع القراءات المختلفة يرجع إليه في اختلاف القراءات وفي اختلاط القرآن بتفاصيل النبي صلى الله عليه وسلم وتفاسير الصحابة رضي الله عنهم.

٥٣ - على المقى الهندي (٩٧٥هـ) كتاب العمال في سنن الأول والأفعال طـ مؤسسة الرسالة ١٤٠٩هـ - بيروت . ٣١٤٠٩ .

٥٤ - الميشمي، على بن أبي بكر، نور الدين (ت ٨٠٧هـ) جمع الزوان ونبع الفوائد باب ما جاء في بعثة صلی الله علیه وسلم وعمومها ونزل الوحي ٢٣/٧ طـ دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٨ء.

القراءات في مصاحف عثمان رضي الله عنه

لما استشهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه و استخلف عثمان رضي الله عنه وكانت المارك لفتح آرمينيا و آذربايجان^(٥٥)، حضر حذيفة بن اليمان في تلك المارك و حضر معركة كل منها جند الشام وجند العراق فرأى حذيفة ناساً من أهل حمص يزعمون أن قراءتهم خير من قراءة غيرهم و أنهم أخذوا القرآن عن المقداد بن أسود و رأى أهل دمشق يزعمون أن قراءتهم خير من قراءة غيرهم. و رأى أهل الكوفة يقولون مثل ذلك و أنهم قرؤوا على ابن مسعود وأهل البصرة يقولون مثله و أنهم قرؤوا على أبي موسى الأشعري. فأفرغه ذلك و سار إلى عثمان رضي الله عنه بالمدينة فقال له: يا أمير المؤمنين إن قد سمعت الناس اختلفوا في القرآن اختلف اليهود والنصارى حتى إن الرجل ليقوم فيقول هذه قراءة فلان. فجمع عثمان رضي الله عنه الناس في المسجد النبوى فقال لهم ماذا ترون؟ فقد بلغنى أن بعضكم يقول إن قراءتى خير من قراءتك وهذا يكاد أن يكون كفرا. قالوا ماذا ترى؟ قال أرى أن أجمع الناس على مصحف واحد فلا يكون احتلاف، فقالوا نعم الرأى ما رأيت! فأرسل إلى أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها أن أرسلي بالمصحف ننسخها ثم نردها إليك ، فأرسلت إليه و كان هذا في سنة خمس و عشرين من الهجرة. فأحضر عثمان رضي الله عنه زيد بن ثابت رضي الله عنه و هو من الأنصار و نفرا من قريش و هم: عبد الله بن زبير، عبد الله بن عباس، عبد الله بن عمر، عبد الله بن عمرو بن العاص، و سعيد بن العاص، وأبان بن سعيد، و عبد الرحمن بن الحارث بن هشام. فقال من أكتب الناس؟ قالوا كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت. قال فأى الناس أعراب؟ قال سعيد بن العاص . قال فليميل سعيد و ليكتب زيد فكتب زيد.^(٥٦)

٥٥ - آرمينيا بفتح الممزة و بسكون الراء و كسر الميم بعدها ياء ساكنة فنون مكسورة ، مدينة عظيمة وهى في جهة الشمال مشهورة بجمالتها و طيب هوائتها و كثرة مياهها و شجرها. و آذربايجان بفتح الممزة والذال المعجمة و سكون الراء ، بلد من نواحي جبل العراق يلى آرمينيا من جهة غربها المنجد في الإعلام كرم بستانى وزملاؤه طـ دارالمشرق-بيروت ١٣٨٦هـ - ٣٩-٣٣

٥٦ - كنز العمال ٢٥٨٥ رقم ٤٧٧٩

عدد المصاحف العثمانية وبعثة القراء إلى الأمصار

اختلاف العلماء في عدد المصاحف التي أرسلها عثمان رضي الله عنه إلى الأفاق، على الأقوال: وأصحها كما قال الإمام الداني رحمه الله^(٥٧) أنها ستة: البصري، الكوفي، الشامي، المكي، المدين العام لأهل المدينة ، المدين الخاص الذي جبسه لنفسه وهو الذي يُسمى بالمصحف الإمام. وقيل بأنها كانت خمسة ، فلعله أخرج المصحف الخاص لأن الكلام على ما أرسل منها و لا ريب بأنها كانت خمسة. ولم يكتف عثمان بإرسال المصحف وحده بل وقد أرسل مع كل من هذه المصاحف قارئاً يقرئهم موافقاً للرسم العثماني ، فعين زيد بن ثابت (٤٥ هـ) معلماً لأهل المدينة وأرسل عامر بن عبد قيس (٥٥ هـ) مع المصحف البصري وعبد الله بن السائب المخزومي (٧٠ هـ) مع المصحف المكي وأبا عبد الرحمن السلمي (٧٤ هـ) مع الصحف الكوفي والمغيرة بن شهاب (٩١ هـ) مع المصحف الشامي. وقيل بأنها كانت ثمانية فلعله أدخل فيها ما كتبت في المرحلة الثانية وأرسلت إلى اليمن والبحرين ، على كل فالخلاف لفظي.

وقد كان رسم الخط العربي آنذاك حالياً من النقط و الأشكال فاحتوى هذا على عدة وجوه من القراءات الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومثال ذلك ما نرى في قوله تعالى: "فتبنوا..." و هو من البيان. بينما قراءتها الإمام حمزة والكسائي "فتشتوا"^(٥٨) ، وهو منثبت . ولا فرق بين القراءتين من جهة مرسوم الخط إلا في النقط فقط . و الرسم كان حالياً منه فانطبق الرسم على القراءتين . و كقوله تعالى : "نشرها" بالراء ، و "نشرتها" بالزاي^(٥٩) . و كقوله تعالى : "والعنهم لعناً كبيراً" عند الإمام عاصم ، و "لعناً كثيراً" عند غيره من القراء^(٦٠) . إلا

٥٧ - الداني، عثمان بن سعيد أبو عمرو (ت ٤٤٤ هـ) المقنع في رسم مصاحف الأمصار تحقيق محمد الصادق القمحاوي مكتبة الكليات الأزهرية، ص ٢.

٥٨ - النساء: ٩٤، الحجرات: ٦، وانظر تقرير النشر في القراءات العشر محمد بن الجزرى تحقيق على عبد القدس مكتبة: دار احياء التراث العربي بيروت الطبعة الأولى ١٤٢١، ٥١٤٢١، ص ٢٤٥.

٥٩ - البقرة: ٢٥٩.

٦٠ - الأحزاب: ٦٨.

في مواضع يسيرة التي دار الخلاف فيها من جهة الحذف والإثبات أو الزيادة والقصص أو إبدال حرف بحرف آخر. فما كان الرسم الواحد يتسع لأكثر من وجه، وزعه سيدنا عثمان رضي الله عنه على المصاحف العديدة، فمثلاً قوله تعالى: "وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمَ بْنَهُ وَيَعْقُوبَ ..."^(٦١)،قرأها الإمام نافع وابن عامر الشامي بصيغة الإفعال وأوصى فريدت الهمزة في المصحف المدنى والشامى وحذفت فى الأخرى^(٦٢)، والكلمات من هذا القبيل يصل عددها إلى بعض وأربعين كلمة ذكرها علماء الرسم في الأمهات من كتبهم.

تحديد القراءات:

ثم ان القراء بعد هؤلاء كثروا وتفرقوا في البلاد وانتشروا وخلفهم أمم بعد أمم عرفت طبقاتهم واحتللت صفاتهم، فمنهم الحكم التلاوة المعروف بالرواية والدرامية، ومنهم المقتصر على وصف من هذه الأوصاف، وكثير بسبب ذلك الاختلاف، وقل الضبط واتسع الخرق، والتبس الباطل بالحق، فميز جهابذة العلماء ذلك بتصانيفهم، وحرروه وضبطوه في تأليفهم^(٦٣)

قال الإمام ابن الجوزي: "فكان أول إمام معتبر جمع القراءات في كتاب، أبو عبيد القاسم بن سلام (٤٢٤هـ) وجعلهم فيما أحسب خمسة وعشرين قارئاً مع هؤلاء السبعة"^(٦٤)

والحقيقة أن أبو عبيد كان معاصرًا لأئمة القراءة الكبار، ولكنه لم يكن معنياً بالاستقلال بحرف نفسه ، بقدر ما كان يعني باستقصاء حروف الأئمة^(٦٥).

٦١- البقرة: ١٣٢.

٦٢- محمد بن أحمد بن محمد بن الحسين الموصلى ٢٥٢هـ شرح شعله على الشاطبية المسمى كنز المعانى، ميدان العتبة الخضراء مصر الطبعة الأولى، ص: ٢٧٧.

٦٣- أبو شامة، (٦٦٥هـ) إبراز المعانى من حرز الأمانى، دار الكتب العلمية، بيروت، ص: ٤.

٦٤- النشر: ٣٣١-٣٤.

٦٥- انظر: محمد الحبشي، القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القران والأحكام الشرعية: دار الفكر، دمشق، سوريا، ص: ٦١.

وكان بعده احمد بن جبیر بن محمد الكوفي نزيل انطاکية (٢٥٨هـ) جمع كتابا في قراءات الخمسة - ثم القاضي اسماعيل بن اسحاق المالکي (٢٨٢هـ) الف كتابا في القراءات جمع فيه قراءة عشرين اماما، منهم السبعة . ثم الامام ابو جعفر محمد بن جرير الطبرى (٣١٠هـ) جمع كتابا سماه "الجامع" ، فيه نيف وعشرون قراءة. ثم ابو بكر محمد ابن احمد بن عمر الداجوانى (٣٢٤هـ) جمع كتابا في القراءات وأدخل معهم ابا جعفر أحد العشرة.

تحديد القراءات السبع المتواترة:

ثم لما كثر القراء وكثرت الروايات عن الأئمة ، وأوشك ان يدخل الاضطراب في القراءات، فكر الامام أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد البغدادي أن يستخلص قراءات القراء المشهورين بها من أشهر الأمصار الاسلامية التي حملت القراءات عنها. وكان ذلك في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع المحرى حيث جمع قراءات القراء السبعة في كتاب سماه "السبعة".

قال مكي بن أبي طالب القيسي (٤٣٧هـ)

إن الرواة عن الأئمة من القراء كانوا في العصر الثاني والثالث كثيرا في العدد، كثيرا في الاختلاف، فأراد الناس في العصر الرابع ان يقتصروا من القراءات التي توافق المصحف، على ما يسهل حفظه ، وتنضبط القراءة به، فنظروا إلى إمام مشهور بالثقة والأمانة في النقل، وحسن الدين --- وينطبق قراءته على مصحف ذلك المصر. فكان أبو عمرو من أهل البصرة ، وحمزة وعاصم من أهل الكوفة وسودها، والكسائي من أهل العراق ، وابن كثير من أهل مكة ، وابن عامر من أهل الشام، ونافع من أهل المدينة و كلهم من اشتهرت امامته... وأول من اقتصر على هؤلاء أبو بكر بن مجاهد قبل سنة ثلاثة أو في نحوها. وتابعه على ذلك من أتى

بعده إلى الآن^(٦٦) . وبذلك هو يعتبر مؤسس نظام القراءات السبع الصحيحة من جمع قراءات كاملة ومؤسس أول جامعة للقرآن وقراءاته في بغداد^(٦٧) والقراء السبعة الذين وقع اختيار ابن مجاهد على قراءاتهم ، هم:

- ١ - عبد الله بن عامر الشامي (١١٨هـ)
- ٢ - عبد الله بن كثير المكي (١٢٠هـ)
- ٣ - عاصم بن أبي النجود الكوفي (١٢٧هـ)
- ٤ - أبو عمرو زبان بن العلاء البصري (١٥٤هـ)
- ٥ - حمزة بن حبيب الكوفي (١٥٦هـ)
- ٦ - نافع بن عبد الرحمن المدنى (١٦٩هـ)
- ٧ - علي بن حمزة الكسائي الكوفي (١٨٩هـ)

ومن الدراسة السابقة يمكن تلخيص تطور القراءات فيما يلي:

- ١ - تكاثر القراءات حتى وصلت إلى نحو خمسين قراءة.
- ٢ - تكاثر القراء حتى بلغ ألفاً مئوفة.
- ٣ - تكاثر الاختلاف في القراءات.

من هنا تصدى ابن مجاهد لمواجهة هذه الاشكالية ، وبعقرية مشهودة، توصل إلى حل لها أجمع المسلمين حتى يومنا هذا على تأييده والاعتراف به، حيث:

- ١ - استوعب كل ما وصل إليه من تراث القراءات والقراء.
- ٢ - قارن بينها جميعاً.
- ٣ - وضع أركان القراءة الصحيحة
- ٤ - اتخذ الخطوات العملية لطرح الأركان الثلاثة على الرأي العام للحصول على شرعيتها
- ٥ - حدد القراءات التي ينوي اعتمادها بسبعين

٦٦ - مكي بن أبي طالب القيسي (٤٣٧هـ) الإبانة عن معانى القراءات، دار المامون، دمشق: ص: ٦٣-٦٤.

٦٧ - انظر: فؤاد سزكين تاريخ التراث العربي، ترجمة محمود فهمي حجازي، طبع المملكة العربية السعودية، ص: ٣٠.

- ٦ - حدد الامصار التي اختار منها القراء السبعة بقراءاتهم المعتمدة.
- ٧ - حدد المواصفات التي ينبغي توافرها في القراء الذين ينوي الاختيار من بينهم
- ٨ - حدد أسماء القراء السبعة.

تحديد الشروط المعينة في قبول القراءات وردها عند الأئمة:

وقد قام في نفس القرن، الإمام ابن مجاهد إلى وضع شروط ثلاثة التي أصبحت ضابطاً دقيقاً في قبول القراءات وردها عند الأئمة ، وهذه الشروط هي:

- ١- أن تكون القراءة مطابقة لخط المصحف العثماني.
- ٢- أن تكون القراءة صحيحة السندي، حملها رواة موثقون حتى زمن القارئ.
- ٣- أن تكون موافقة للعربية ولو بوجه ما^(٦٨).

يوضح مكى بن أبي طالب القيسى الشروط التالية لقبول القراءات فيقول:

- ١- أن يكون لها وجه قوى في العربية.
- ٢- أن تكون موافقة لرسم المصحف العثماني.
- ٣- أن تجتمع عليه عامة الناس^(٦٩).

وقال الإمام أبو شامة (٥٦٦٥) "ذكر المحققون من أهل العلم بالقراءة ضابطاً حسناً في تمييز ما يعتمد عليه من القراءات وما يطرح ، فقالوا: كل قراءة ساعدتها خط المصحف مع صحة النقل فيها، ومجيئها على الفصيح من لغة العرب فهي قراءة صحيحة معتبرة ... وأشار إلى ذلك كلام الأئمة المتقدمين وهو الحق الذي لا يحيد عنه على تفصيل فيه".^(٧٠)

وقد نظم ابن الجزرى (ت ٨٣٣هـ) هذه الشروط في الأبيات التالية:

فكل ما وافق وجه نحوى
وكان للرسم احتمالاً يحوى

٦٨- انظر: مقدمه د/شوقي ضيف على كتاب السبعه لابن مجاهد دار الكتب العلمية، بيروت: ص: ١٩.

٦٩- انظر: الإبانة: ص: ٦٥.
٧٠- إبراز المعانى من حرز الأمانى، ص: ٥.

فهذه الثلاثة الأركان
وصح إسنادا هو القرآن
شذوذ لو أنه في السبعة^(٧١)

تطور علم القراءات من حيث التدوين إلى القرن السادس الهجري:

إن أول من دون القراءات - على وجه التفسير - هم الصحابة. رضي الله عنهم. في مصاحفهم الفردية الخاصة كمصحف: عمر بن الخطاب، وعلى بن أبي طالب، وعبد الله بن الزبير، وأبي بن كعب، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن مسعود، ومن أمهات المؤمنين عائشة وحفصة وأم سلمة. رضي الله عنهم، وعنهم. ثم لما نسخ عثمان -رضي الله عنه- المصحف أثبت ما استقر في العرضة الأخيرة ، وما في القرآن من قراءات مما احتملها خط المصحف.

وفي النصف الثاني من القرن الأول الهجري كانت هناك مدارس في القراءات أنشأها الصحابة والتابعون في المدينة ومكة والكوفة والبصرة ولكننا لا نعرف من المصادر على نحو مباشر أقدم ما دون من هذه القراءات، فليست لدينا سوى بعض إشارات تشير إلى علاقات التلميذ بشيوخهم - وهناك عبارة ترد كثيرا في تراجم الرجال، نصها: "أخذ القراءة عنه عرضا" ^(٧٢) التي تدل على أن التلميذقرأ النص على شيخه ، ولا نعلم بالضبط - كيف كان ذلك النص المقصود ، ومع هذا لنا أن نفترض أنه كان نسخة خاصة مضبوطة بالشكل، مما أدى أحيانا إلى التعبير: "له عنه نسخة"

ولكن مع ذلك لا نعرف كتابا مدونا في القراءات قبل كتاب يحيى بن يعمر العدواني البصري (قبل سنة ٩٠ هـ).

قال الإمام محمد بن أحمد القرطبي (٦٧١ هـ) - صاحب التفسير المشهور - عنه: الف بواسط كتابا في القراءات جمع فيه ما روى من اختلاف الناس فيما وافق الخط، ومشى الناس على ذلك زمانا طويلا، إلى أن ألف ابن مجاهد كتابه في

٧١- ابن الجوزي طبيه النشر: الآيات: ١٤-١٦.

٧٢- انظر: غاية النهاية: ٦٠٢١، الترجمة رقم: ٢٤٥٧، ٦٠٣/١، الترجمة رقم: ٢٤٦٣.

- القراءات. (٧٣) وقال فواد سزكين: "أن أقدم كتاب نعرفه هو "كتاب في القراءة" ليعي بن يعمر (ت ٨٩ هـ) ثم أبو عبيد القاسم بن سلام (٢٤٢ هـ)" ثم تلاه من جاء بعده، فسلكوا نهجه وساروا على سنته، وكان اولهم: -
- أحمد بن جبير بن محمد الكوفي نزيل انطاكيه (٥٨٢ هـ) جمع كتابا في القراءات الخمس.
 - ثم القاضي إسماعيل بن اسحاق المالكي (٢٨٢ هـ) ألف كتابا في القراءات جمع فيه قراءة عشرين إماما منهم السبعة.
 - ثم الامام أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى (٣١٠ هـ) جمع كتابا سماه "الجامع" في نيف وعشرين قراءة.
 - ثم أبو بكر محمد بن احمد بن عمر الداجونى (٣٢٤ هـ) جمع كتابا في القراءات وادخل معهم أبي جعفر أحد العشرة.
 - وكان في اثره أبو بكر احمد بن موسى بن مجاهد البغدادى (٣٤٢ هـ) أول من اقتصر على قراءات الأئمة السبعة المشهورين. فألف "كتاب السبعة" وبعد تسعين ابن مجاهد السبعة ، توالت التصانيف في القراءات السبع.
 - حتى ألف ابو بكر احمد بن الحسين بن مهران (٣٨١ هـ) "الغاية" و "المبسوط" كلاهما في القراءات العشر (مطبوعان).
 - ثم أبو الطيب عبد المنعم بن عبد الله بن غلبون الحلبي نزيل مصر (٣٨٩ هـ) ألف "الإرشاد في معرفة مذاهب الأئمة السبعة و شرح أصولهم" .
 - ثم أبو الحسن طاهر بن أبي الطيب عبد المنعم بن غلبون الحلبي (٣٩٩ هـ) ألف "الذكرة في القراءات الثمان" .
 - ثم أبو الفضل محمد بن جعفر الخزاعي (٤٠٨ هـ) ألف "المتهى" في القراءات العشر، جمع فيه ما لم يجمعه أحد قبله.
 - ثم أبو عبد الله محمد بن سفيان القิروانى المالكى (٤١٥ هـ) ألف "الهادى" في القراءات السبع (مخطوط).

٧٣- انظر: الجامع لاحكام القرآن الكريم، ٦٣/١، ومقدمة د/عبدالكريم الريبي على كتاب "جمال القراء" للسخاوي: ص: ٩.

٧٤- ذكر د/مولاي محمد أهيمها- بعد ابن مجاهد إلى الإمام الشاطئي ووصل هذا إلى ٣٠ تصنيفا، انظر: مقدمته على كتاب "فتح الرصيد" للسخاوي، مكتبة الرشد، الرياض، ص: ٩٥-٩٩.

- ثم أبو عمر أحمد بن عبد الله الطلمنكي الأندلسي نزيل قرطبة (٤٢٩هـ) ألف "الروضة" -
- ثم أبو العباس أحمد بن عمار المهدوى (٤٣٢هـ) ألف "المداية إلى مذاهب القراء" السبعة -
- ثم أبو محمد مكى بن أبي طالب القيسى، القىروانى ، ثم الأندلسى، (٤٣٧هـ) ألف "التبصرة" (مطبوع) و "التذكرة" كلاهما فى القراءات السبع و "الإبانة عن معانى القراءات" (مطبوع) و "الكشف" -
- ثم أبو عمرو عثمان بن سعيد الدانى (٤٤٤هـ) الف "التسير" و "جامع البيان كلاهما فى القراءات السبع (مطبوعان) -
- ثم أبو علي الحسن بن علي بن إبراهيم الأهوازى (٤٤٦هـ) الذى لم يلحقه أحد في هذا الشأن، ألف "الوجيز" -
- ثم أبو الطاهر إسماعيل بن خلف بن سعيد بن عمران الأنصارى الأندلسى ثم المصرى (٤٥٥هـ) ألف "العنوان فى القراءات السبع (مطبوع)" -
- ثم أبو القاسم يوسف بن علي بن جباره المهنلى (٤٦٥هـ) ألف "الكامل" جمع فيه خمسين قراءة عن الأئمة و ٤٥٩ طريقة -
- ثم أبو عشر عبد الكريم بن عبد الصمد الطبرى (٤٧٨هـ) الف "التخلص فى القراءات الشمان" (مطبوع) و "سوق العروس" في ١٥٥٠ رواية و طريق -
- ثم أبو علي الحسن بن خلف بن عبد الله بن بليمة القىروانى نزيل الإسكندرية (٤٥١هـ) ألف "تلخيص العبارات بلطيف الإشارات" فى القراءات السبع (مطبوع) -
- ثم أبو القاسم عبد الرحمن بن أبي بكر عتيق الصقلى المعروف بابن الفحام شيخ الأسكندرية (٥١٦هـ) ألف "التجريد لبغية المريد فى القراءات السبع" -
- ثم ابو العز محمد بن الحسين بن بندار القلانسى الواسطى (٥٦١هـ) ألف "الكافية الكبرى" و "إرشاد المبتدى و تذكرة المتهنى فى القراءات العشر" (مخطوط) -
- ثم أبو جعفر أحمد بن على بن أحمد بن الباذش الأنصارى الغرناطى (٤٥٤هـ) الف "الإقناع فى القراءات السبع" (مطبوع) -
- ثم ابو محمد عبد الله بن على بن أحمد المعروف بسبط الخياط البغدادى (٤٤١هـ) ألف "المبهج" فى القراءات الشمان و قراءة ابن محيصن والأعمش و اختيار خلف

- والبيزيدى ، و "الإيجاز" في القراءات السبع و "إرادة الطالب" في القراءات العشر و "تبصرة المبتدى" و "الكافية" في القراءات الست .
- ثم أبو الكرم المبارك بن الحسن بن أحمد بن على بن فتحان الشههزورى البغدادى (٥٥٠هـ) ألف "المصباح" في القراءات العشر .
- ثم أبو القاسم الشاطبى (٩٥٩هـ) ألف "حرز الأمانى ووجه التهانى فى القراءات السبع" (مطبوع) (٧٥).

. وهي قصيدة تحوى على ١١٧٣ بيتا - فنوجه إليه العلماء بحيث لم يتوا جهوا إلى كتاب قبله ولا بعده حتى عرف كأنه لا يوجد غيره ويندووا يكتبون شروحه وحواشيه، ولا يعرف أهل المدارس إلا القصيدة اللاممية في القراءات لـ مام الشاطبى إلى أن جاء ابن الجزرى وأنها بثلاثة من القراء وهم أبو جعفر المدى ويعقوب الحضرمى وخلف العاشر- وبإزاء ما ذكر عن تاريخ التأليف في القراءات، توالي التأليف منذ عصر التدوين إلى عصرنا هذا، فاتخذ أشكالا وأصنافا متعددة فمنها ما اختص بالقراءات المفردة، ومنها ما اختص بالقراءات الثلاث، والخمس، والست، والثمان، والعشر، والإحدى عشر، والأربع عشر - كما أن منها ما اختص بالاحتجاج بهذه القراءات... إلى غير ذلك من أنواع التصنيف، فلم توقف مسيرة التأليف في كل ذلك إلى عصرنا الحاضر .

٧٥ - ابن النديم (٣٨٥هـ) الفهرست، دار المعرفة، بيروت: ص: ٥٣ وأمثاله.